رواية الشهر

العروسان

اغرم لوتيك بايڤون الرائعة الجمال ، وكان كلاهما في سن يحن فيها القلب الى القلب ، وتتوق النفس الى النفس . وكانا يقطنان بريطانيا والعادات القديمة لا تفتأ مرعية تتجلى فيها بأبهى مظاهرها والطباع الكريمة تظهر بأجمل حلاها . وكان حبهما طاهراً يرفع قلب الانسان الى أعلى مراتبهِ السامية ، ويهذّب الطباع على خير ما تبتغيهِ البشر . فاذا خرجا من الكنيسة يوم الاحد استرقا الانظار وتكلما بالعيون كما كانا يتراسلان كتب الهيام مع هبوب النسيم وتألق النجوم . غير ان ايڤون كانت فقيرة لا تملك سوى بقرة واحدة تنتجع الكلاء في الرياض الخضرة وترد الماء في المناهل العذبة . وكان لوتيك قبلة حبها وكعبته غنياً يملك العقارات والضياع وكروم التفاح ولم يكن لأحد من السادة ما كان له من الحلي والحلل النفيسة والدرر اليتيمة . أما والد لوتيك فكان رجلاً محنكاً ذا خبرة بأحوال العالم عليماً باسرار الغرام فشعر بحب ولده وقال يوماً لزوجته حنة : اني ارى لوتيك يكاد يكون مقطباً فلا يبسم الا متجهماً ولا يتكلم الا مدمدماً . الف الاسى فكأنما بين الاسى قرب وبين قلبه الدامي . على اني عرفت علة حزنه وسبب وجومه فانهُ قد اختار لك كنة فتاة فقيرة لا تملك من حطام الدنيا الا بقرة وهو مالها التليد الوحيد ولكنها بديعة ذات محاسن هيفاء القد تخجل البدر اذا طلع والنجم اذا سطع . ألا يمكن الفضيلة والجمال أن يعوضا عن الغنى والجاه لنضربنّ صفحاً عن غرامه ولندعه وشأنه وليقترن بجليلة اصمت فؤاده بنبال هواها وتيمته بجمال طلعتها

واهاً لك أيها القلم تكسر على صخور عجزك وتمزق يا قرطاس بين انياب ضعفك فانكما لا تستطيعان أن تعربا عما خامر قلبي ذينك الشابين من السرور والجذل لما انبأها والد لوتيك برضاه عن زفافها اليه . فلا خير في يراع يخون الفكر ولا ينقاد للقلب

ولا جناح اذا مزق طرس ينوء بوقر حديث نشوة الابتهاج . فانطرح لوتيك بين ذراعي والديهِ ودموعهُ تهمي . أما ايثون فانها ضمت يديها الى صدرها ورفعت عينيها الى السماء شاكرة الرحمان . غير انهُ لم يكن لها من يقاسمها افراحها فالموت القاسي كان قد مزق بمخالبه المفترسة حياة والديها وزج بهما في اعماق القبور

بزغت غزالة النهار مائسة تبدد عن الافق غيوم الظلماء كما كانت شمس الحب تمزق باضوائها المتلألئة حنادس الحزن والاسى عن قلب لوتيك وعشيقتهِ ايثون . قرع الناقوس واحتشد القوم في الساحة العمومية ينتظرون بذاهب الصبر قدوم العروسين ليسرحوا الانظار في حسن محيا ايثون الفتاة . وما كنت ترى الا عيوناً شاخصة ولا تسمع الا افواهاً تقول ما اجمل وابهى سنا طلعتها . فرفع الكاهن يديه وقال : ليبارككما رب السماء وليسكب عليكما غيث رضوانه ما أحسن مثلكما فعلى الاغنياء أن يمدوا يد المصافحة الى البؤساء لانهم كلهم ابناء اسرة واحدة ، اذهبا وعيشا بسلام آمنين

بالقرب من تلك القرية جزيرة صغيرة تتحطم على صخورها امواج البحر المتلاطمة وتأوي الطيور اليها فتؤنس وحشتها بشجي الحانها حتى ان القادم اليها يكاد يحسب نفسهُ قد هبط في جنة عدن أو صعد الى عالم الابرار وكان يسكنها ناسك قوّست الايام ظهره واضعفت السنون بصره وكان على كل من يتزوج من سكان هــذه القرية أن يقدم له شيئاً من العسل واللبن. فركب العروسان القارب ترافقهما اصوات الغناء وعزف آلات الطرب حتى اذا قاما بالعادة المرعيــة وقدما للناسك الهدايا المعدة ركبا البحر فشاهدا من اهواله ما لا يعبر عنهُ اذ سمعا للجبال صفيراً وللرياح دوياً عظيماً وزفيراً والامواج تطرب لسماع اصوات الرياح فكانت طوراً تبتعد وتضطرب وتارة تلتطم وتصطفق فلما أيقنا انهما لا يجدان الا فضل الله واقياً وبحيراً قالت ايثون « ربِ نجنا من وهدة العطب ولك منا أن نزور مذبح هامة رسلك » . فاستجاب الله الدعاء فهدأ البحر وسكن وحصل بعد الشدة الفرج وشما من السلامة اطيب الارج

واهاً لك يا أيام الفرج والسرور مالك تمضين كوميض البرق مالك تمرين مر السحاب ولا تعودين

يا عيشنا المفقود خذ من عمرنا دهراً وردَّ من الهوى يوماً كفى

مضى شهر على عرسهما . رعياً لكما أيها الزوجان المسيحيان ان الدين يأمركما فسافرا وودعا الاوطان والاهل والخلان . الوداع يا بريطانيا الحبيبة الوداع . مضى اليوم الاول والقلب واجف ولكن للايام حداً وللاسى نهاية فكما يفنى السرور هكذا تفنى الهموم . أما كانا يجددان العزم بحديث الحب وغضاضة الشباب، ألا يكفي الغرام لتبديد ما تلبد في افق سماء النفس من غيوم السآمة والكآبة . كانا يمشيان باحترام ويركعان امام المعابد ويتصدقان على الفقراء . واذا ما الشمس احرقت بلظى اوارها ولهيب شعاعها اديم الارض التجآ الى ظل بعض الاشجار فاكلا الخبز تقشفاً وشربا الماء صرفا وشكرا المولى ورب العباد . وكان الناس يرونهما ماشيين مطرقين والسبحة في ايديهما . على ان الحب فضاح فكان حنو نظرهما واضطراب قلبيهما يذيعان سرهما على الطريق ويهزان افئدة الناس عطفاً عليهما. واذا رآهما الشيوخ قالوا : حاجان يؤمان بيت الله . أما الفتيات فيخلنهما عاشقين يتبادلان كلمات الصبابة والهيام . فلما اجتاز الوابور ووصلا الى نيفير فاجأهما نبأ فشو الطاعون في تلك الضواحي وكان الموت يحصد بمنجله البتار كل من تقع يداه عليه ،فقال لوتيك : بدار نهرب من هذه البلدة لئلا يصيبنا الداء. ولكنها لم تجب شيئاً بل اصفر وجهها واصطكت ركبتاها وارتجفت شفتاها ووقعت بين ذراعي زوجها وقالت: اهرب أنت وحدك يا حبيبي ودعني فاني مصابة . ، فقال لوتيك: ويلاه ،اذا تقولين؟ لا تموتي بربك لا تدعيني وحدي . قلت كلا اني لا اقضي بل أنا ذاهبة لاعد لك مكاناً في جنة الخلد ودار البقاء فلا تجزع يا حبيبي اني انتظرك تحت عرش الله الى الملتقى

غداً يكثر البا كون منا ومنكم وتزداد داري عن داركم بُعدا

تحمل يا قلب تحمل ولا تتفطر حزناً وكمداً . وضع جثتها في التابوت بعد ان زودها بقبلاته الحارة وانشد لها بصوته الرخيم غناء الوداع الاخير وحفر لها جدثاً تحت ظل

دوحة وزينهُ بالازهار وسقاه بالدموع ثم مضى ولم يدع الحزن في قلبهِ ولم يذر . قضى النذر وعاد ووقف على قبر الحبيبة وقال

افدي بروحي ذلك الوجه الذي جمع الجمال وحسن ذاك المبسم
زيحي لثامك يا ابنة الصبح اللتي قد اصبحت شرفاً لكل الانجم
فمتى ترى عيناي ما قتلت به روحي عسى تحيي بمنظره السمي
فلو انجلت كل الغواني لي ولم الكُ ناظراً لسناك لم أتنعم
فضعي يديك على ضنا صدري عسى تدرين ما فعل الحمام بأعظمي
عبثت ايادي الدهر بي فاذبنني واعادت العبرات مثل العندم

ها أنا ذا يا حبيبتي رجعت ، ها أنا ذا قد اعتقت من اسر ذلك النذر المشؤوم ، لقد ذهبت حتى ينابيع التيبر وصليت على أعظم الشهداء والقديسين فلا شيء الآن يوقف حياتي في هذا العالم انها تطير مشتاقة اليك . يا رب أنت اعطيتني حياتي فلا تبخل عليّ الآن بحياتي . وانتم يا حراس القبور والاموات استحلفكم باسم الله وابنهِ ان تضمانا كلينا في قبر واحد وان تكتبا عليه هذين البيتين

كنا على ظهرها والعيش في مهل والعيش يجمعنا والدار والوطنُ
ففرق الدهر بالتشتيت الفتنا فاليوم يجمعنا في بطنها الكفنُ

قال هذا ووقع على القبر جثة هامدة . انشدي ايتها الطيور أحزن الالحان وخذ مثلاً مما ترى أيها الانسان . لما فتحوا قبر ايڤون ليضموا الوتيك اليها توردت وجنتاها المصفرتان وافتر ثغرها وتنحت قليلاً ووسعت لحبيبها مكاناً

فدهش الناس مما رأوا ونصبوا لهما قبراً منيفاً يركع بجنبهِ للصلاة من يريد ان يفتح قلبهُ للحب الزواجي الطاهر

(عن فيكتور هوغو) حلب لويس اسود

مجلة الزهور بمصر انطون الجميل